المصدر: الحياه
التاريخ : ١٧ فبراير ٢٠٠٥

الحريري: ما بين العروبة والحرية

■ اراد ان يكـون وطنيـاً لبنانياً، وقومياً عربياً في آن، فمشـى على حبل ألغام المسـارين المتلازميـن، فأنفجـر به. ربما لم يعرف ان قلب العروبة النابض، الذي توهم اسـترضاءه بلعبة التوازن على الحبال، كان انطفأ منذ حين، وان شـعلته انتقلت، في غفلة من زمن العرب العاربة، والعرب المسـتعربة، الـى بغداد... قبل ان تنطفـىء ما بين النهرين، ويعثـر على صاحبها في جحر...

مشـى على حبل مشـدود ما بين نارين، لكن، وللأسـف، لا توجد منطقة وسطى ما بين جنة الوطن ونار العروبة: عارض التمديد للحود، ثم وقع على تعديل الدستور... حتى لا يقطع الحبل. لعب لعبة لا تكافؤ فيها: فهل ترضى «سلطة الوصاية» بالحلول الوسط؟

... اراد ان يكون شـريكاً، إلا انهم ارادوه عميلاً، او موالياً، كسـائر «الموالاة»، ولم ينفعه ان شعبه والعالم كانا معه... فلا تكافؤ في اللعبة القذرة، ولا حصانة لأحد...

من قتله؟ هم نفسـهم الذين ملأوا القبور الجماعية في العراق. هم أنفسـهم وامثالهم الذين قتلوا ولا يزالون يسـعون الى إطفاء كل بصيص من حرية اينما انبعث نورها. هم أنفسهم الذين اسـتماتوا لوأد الانتخابات في العراق، وفلسطين، ويسـعون اليوم الى إحباطها او تزويرها في لبنان. ألم يحسـم وليد جنبـلاط اخيراً خياره ما بين العروبة والحرية؟ هل كان حسـمه المبكر هـو خلاصه من مصيره المحتوم - بإعتبار ان الحسـم جعل اصطيـاده صعباً وجعل الصياد مفضوحـاً سـلفاً؟ لا نعرف. غيـر ان اللبنانيين يعرفون من اغتال قادة اسـتقلالهم، من رياض الصلـح... الى رفيق الحريري. إلا ان القاتل يواصل جرائمـه، حتى الرمق الاخير، فيما يتقهقر الى جحره. انه العبث بعينه. وإلا، فلماذا تواصل بقايا النظام البائد في بغداد جرائمها بعد اكثر من عام على سقوط صاحبها وافلاسه السياسي؟

ثمة دروس عدة يمكن اسـتخلاصها من جريمة بيروت الاخيرة، ومن بينها ان لا مهادنة تنفع مع من لا يعرف الفرق ما بين الشراكة والعمالة. اما المهادنون، بإسم العروبة او الأخوة، فإنهم قد يسـتفيدون الى حين، وقد يوفرون لأنفسـهم «حماية» موقتة، الا انهـم، في النهاية، يحفرون قبورهم السياسـية بأيديهم، اقله في نظر شـعبهم، الذي يدينهـم، ويتطلع الى حقه الطبيعي في الانعتاق من الوصاية والتبعية.

الدرس الاهم للبنانيين وغيرهم هو في وعيهم بأنه لا يمكن الجمع ما بين الاستقلال والتبعية، وانه لا فرق بين قمع يمارسـه عدو محتل، وقمع يمارسـه شـقيق قريب. فالقهر واحد، والنتيجة واحدة، مهما تعددت الاسباب، واختلفت الظروف.

يبقى ان يعي الشـعب اللبناني، ومعه شـعوب المنطقة العربية المأزومة اليوم، أن المشـكلة الاكبر ليسـت مع الاعداء الخارجيين، الحقيقيين منهـم او المتوهمين. فالعدو مقيم في الداخل، وفـي داخـل كل من يبرر للقمع وللتبعية، بحجة مقارعة العدو الخارجي. فالمهزوم في الداخل لا يمكن ان ينتصر في الخارج...

سلامة نعمات

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية